

تاريخ الاستلام: 2016/11/12 - تاريخ التحكيم: 2017/03/06 - تاريخ النشر: 2017/06/02

الآثار والمعالم من خلال المصادر الإسلامية (تلمسان دراسة نموذجية)

د. مطروح ام الخير

(جامعة مرسلي عبد الله تيبازة - الجزائر)



Résumé

Comme les sources de ce degré d'importance que nous avons essayé de faire cette humble recherche de la définition des sources de l'histoire islamique, les types et la façon de compter. Article archéologique est également considéré comme les sources les plus importantes de l'histoire de la période islamique, il est le meilleur témoin de ces civilisations qui sont venus à travers le temps, et est divisé en deux types (effets fixes, et les effets de l'air), et fixé des effets représentés dans les villes et le rôle, des palais, des mosquées, des écoles et des sanctuaires et les angles et les cimetières et autres effets qui ne peuvent pas être transférés, soit transmis, tels que des pièces de monnaie et des manuscrits, des bijoux et de la poterie, du métal et des plaques et des pierres tombales commémoratives, qui nous fournissent des informations historiques sur la vie du roi, ou un événement important, par exemple, des plaques commémoratives nous fournissent des informations significative personnelle ou king ou un événement important, et ainsi de l'article archéologique est la source la plus importante pour l'étude de l'histoire des peuples et la civilisation..

Mots clés: sources islamiques, les effets, les caractéristiques, la protection, l'entretien.

الملخص

مما لا شك فيه ، أن دراسة الآثار الاسلامية من خلال المصادر تعتبر مهمة صعبة ، لان هذا النوع من الدراسات يحتاج الى المعرفة الواسعة ، وتفحص المصادر العربية القديمة ، التي نجد فيها المادة التاريخية و الأثرية متناثرة هنا وهناك ، فهي إذن تحتاج الى غزلة و إحصاء جديدين ، بهدف تصنيف المعلومات التاريخية و الأثرية التي كثيرا ما نجدها في المؤلفات الحديثة بنفس الصيغة ، دون تحليل و نقد أو محاولة وضعها في منظور جديد ، خصوصا أن مثل هذه الدراسات تتطلب فهما دقيقا تجاه هذه الحركة .

ولما كانت المصادر على هذه الدرجة من الأهمية حاولنا القيام بهذا البحث المتواضع للتعريف بمصادر التاريخ الإسلامي وأنواعها وكيفية الاعتماد عليها. كما تعد المادة الأثرية هي أهم مصادر تاريخ الفترة الاسلامية ، فهي خير شاهدا على هذه الحضارات التي تعاقبت عبر الزمن ، و تنقسم لنوعين (آثار ثابتة ، و آثار منقولة) ، و الآثار الثابتة تمثلت في المدن و الدور و القصور و المساجد و الاضرحة و الزوايا و المقابر و غيرها من الآثار التي لا يمكن نقلها ، أما المنقولة مثل المسكوكات و المخطوطات و الحلبي و الاواني الفخارية و المعدنية و اللوحات التذكارية و شواهد القبور، التي تمدنا بمعلومات تاريخية عن حياة ملك ما ، او حدث هام ، فمثلا اللوحات التذكارية تمدنا بمعلومات عن شخصية هامة او ملك ما أو حدث هام ، و لذلك فللمادة الأثرية هي أهم مصدر لدراسة تاريخ الشعوب و حضارتها..

الكلمات الدالة : المصادر الاسلامية ، الآثار ، المعالم ، الحماية ، الصيانة

مقدمة:

المصادر التاريخية كثيرة، و هي متنوعة لا يمكن حصر مادتها و اعتمادها جميعاً، لأن القيام بمثل هذا العمل يستوجب دراسة مفصلة و متخصصة ، ليس هذا مجالها ، لذلك اقتصرنا في هذا البحث المتواضع على البعض منها ، و خاصة المصادر التي تتوفر على رصيد علمي له علاقة بموضوع (الآثار الاسلامية من خلال المصادر).

لقد وردت بين الباحثين في التاريخ مقولة مشهورة وهي "لا تاريخ بلا مصادر" إذ لا يمكن للباحث ان يكتب دون الرجوع إلى المصادر ليستقي منها المادة الأولية التي تزوده بالنصوص الكفيلة بكتابة متن البحث أو الرجوع إليها اثناء عملية البحث الاثري لتحديد عمر الموقع أو المبنى الاثري ، فعملية كتابة التاريخ تقوم على المصادر ، ولذلك اشترط على الباحث ان يتأكد من توافر مصادر كافية قبل الشروع في عملية البحث التاريخي أو الاثري . والواقع ان عمل المؤرخ و الأثري يختلف عما هو عليه عند الأديب ، فالأخير يمكن ان يكتب القصص والروايات التاريخية اعتماداً على ذاكرته وخياله ، أما المؤرخ فإنه مقيد بضوابط وقواعد التوثيق ، وذلك بإسناد كل ما يقبسه من معلومات أولية عن الموضوع إلى مصادرها ، و الاثري يعتمد على معطيات المخلفات الاثرية التي وجدت اثناء البحث الميداني ، ومهما نال الباحث من شهادة أكاديمية في حقل الدراسات التاريخية و الاثرية ومهما اتسعت شهرته ، فان ذلك لا يمكنه من اخذ المعلومات دون توثيقها في الهامش ، لان ذلك منافٍ لقواعد المنهج العلمي في دراسة التاريخ وكتابه ، و في كتابة التقارير الميدانية الخاصة بالآثار ، والمؤلفات التاريخية الحديثة التي لا تلتزم بالتوثيق لا يعتد بها. (فاضل جابر ضاحي ، 2005م، ص66-112).

و لما كانت المصادر على هذه الدرجة من الأهمية حاولنا القيام بهذا البحث المتواضع للتعريف بمصادر التاريخ الإسلامي وأنواعها وكيفية الاعتماد عليها من قبل الباحثين. كما تعد المادة الأثرية هي أهم مصادر تاريخ الفترة الاسلامية ، فهي خير شاهدا على هذه الحضارات التي تعاقبت عبر الزمن ، و تنقسم لنوعين (آثار ثابتة ، و آثار منقولة) ، و الآثار الثابتة تمثلت في المدن و الدور و القصور و المساجد و الاضرحة و الزوايا و المقابر و غيرها من الآثار التي لا يمكن نقلها ، أما المنقولة مثل المسكوكات و المخطوطات و الحلبي و الاواني الفخارية و المعدنية و اللوحات التذكارية و شواهد القبور ، التي تمدنا بمعلومات تاريخية عن حياة ملك ما ، او حدث هام ، فمثلا اللوحات التذكارية تمدنا بمعلومات عن شخصية هامة او ملك ما أو حدث هام ، و لذلك فالمادة الأثرية هي أهم مصدر لدراسة تاريخ الشعوب و حضارتها. وتطرقنا في هذا الموضوع الى الحديث عن بعض المؤرخين المسلمين وأهم إسهاماتهم في مجال الآثار و العمارة الاسلامية .

أولاً: تعريف المصدر

هو كل كتاب تناول موضوعاً وعالجه معالجة شاملة و عميقة.أو هو كل كتاب يبحث في علم من العلوم على وجه الشمول والتعمق بحيث يصبح أصلاً لا يمكن لأي باحث الاستغناء عنه. تطلق كلمة المصدر عادةً : " على كل ماله علاقة مباشرة بالموضوع من حيث اتصاله به اتصالاً جوهرياً (د.محمد ناصر ، 2005 م ، ص 29).

أو يقصد به:" هو كل كتاب يبحث في علم من العلوم على وجه الشمول والتعمق بحيث يصبح أصلاً لا يمكن لباحث في ذلك العلم الاستغناء عنه.

وعلى أساس ذلك، تكون المصادر تطلق على الآثار التي تضم نصوصاً أدبية أو نثرًا لكاتب، وتطلق كذلك على دواوين الشعراء وآثارهم لمن يدرس هؤلاء الشعراء، وتطلق على آثار المؤلف.

و من هنا، فإن أغلب الباحثين يرون أن المصادر نفسها تنوع تنوعاً واسعاً، منها ما هو أصيل ومنها ما هو فرعي ثانوي، ولعلمهم يقصدون بالأصيل المصادر الرئيسية، والثانوي الفرعي المراجع.

وبعض العلماء يفرق بين المصدر والمرجع، بأن المصدر هو أقدم ما يجوي مادة عن موضوع ما ، وهذا النوع هو ذو القيمة في الرسائل العلمية.

اما بالنسبة للمؤرخين (المصدر) هو ما يمدهم بالمعلومات الاولية والمباشرة مثل المخلفات الاثرية من تحف واوان و ادوات ونقوش وزخارف ونقود ووثائق ومخطوطات وغيرها. اما المصادر فهي مصطلح اوسع جدا في علم المكتبات والمعلومات يشمل جميع اوعية المعلومات بغض النظر عن شكلها او موضوعها.

فالمصدر والمرجع بمعنى واحد ، فالمصادر هو كل ما يرجع إليه في البحث ، والمراجع هي كذلك ، ونستخلص من ذلك إلى أن المراجع والمصادر سواء أكان مترادفين أم أن كليهما يؤدي معنى مستقلاً ، فإن الباحث لا يستغني عنها ؛ لأنها عدته في أي بحث يقوم به . و يذكر الدكتور شوقي ضيف عن أهمية قدم المصدر الذي يرجع إليه الباحث فيرى أن " قدم المصدر جزء لا يتجزأ من أصلته " (شوقي ضيف، (د.ت) ، ص 213 .) ، لكنه لا ينطلق من الناحية الزمنية بل يرى أن المدار على الموضوع نفسه وصلة المصدر الزمنية به. (المرجع نفسه .)

كما يعتبر بمثابة الأساس للباحث و للدارس ويمثل العمود الفقري الذي يبنى عليه دراسته التي تتمثل في نصوص أولى. و بذلك يكون المصدر أحص من المرجح لأنه يقتصر في الدلالة على ما يرتبط بالأشياء الأساسية أو الأولية بالنسبة لموضوع المقياس. فالباحث في الآثار والتاريخ الاسلامي بصفة خاصة يجد نفسه معتمدا بدرجة كبيرة على نوعين من هذه المصادر ، مصادر كتابية ، بما فيها المصادر الادبية ، و مصادر مادية تتمثل في الشواهد و المخلفات الأثرية ، و جميعها تعد أدوات البحث في التاريخ و الآثار . إذن فالمصدر هو الكتاب أو الأثر الذي صاحب الحدث، وكتب عنه مصاحبا ومعاصرا لزمان وقوعه : هو ما يمد المؤرخين بالمعلومات الأولية و المباشرة و ينقسم إلى عدة أقسام هي:

1 . مصادر مادية:

1.1. الآثار : يقصد بها كل ما أنشأه الإنسان أو انتجه مما له علاقة بالتراث من الآثار العقارية التي تتمثل في بقايا المدن و التلال و القلاع و الحصون و الاسوار و المساجد و المدارس و الابنية الدينية و المقابر و الكهوف سواء كانت في باطن الارض أو على سطحها أو تحت المياه ، و كذلك المعالم ذات الطابع المعماري المميز و المواقع و الشواهد التاريخية التي تتصل بحضارة الانسان و كفاحه و تجاربه و ترتبط بالتاريخ السياسي و الثقافي و الاجتماعي تكون شاهداً على التاريخ . فبالنسبة للتاريخ القديم يعتمد اعتمادا يكاد يكون كلياً على الآثار. مثل الأهرامات في مصر ، حدائق بابل المعلقة في العراق ، قانون حمورابي .

1.1.1. الآثار المنقولة : هي المنقولات الاثرية التي صنعت لتكون بطبيعتها منفصلة عن الآثار العقارية و يمكن تحويلها من مكانها دون تلف مثل المسكوكات التي تعد مصدراً مهماً من مصادر التاريخ و آثار الحضارات ، و على حد قول عالم النميات الأمريكي "جورج مايلز" (George C.Miles) في مقدمة كتابه عن تاريخ الري النقدي " لا يوجد حقل في التاريخ خدمته مسكوكاته بالقدر الذي خدمت به المسكوكات الإسلامية التاريخ الإسلامي. ثم التماثيل و الفسيفساء و قطع الفخار و الزجاج و النقوش و كذلك بعض الصناعات التقليدية . و تعتبر الآثار المنقولة آثار عقارية إذا كانت مخصصة لخدمة أثر عقاري كأجزاء منه أو مكمله له أو زخارف فيه.

2.1. مصادر أولية. مثل الكتب و الوثائق التي هي أرقى أنواع المصادر ، و تتمثل في الانواع التالية :

*وثائق من الطراز الأول: هي تلك الكتابة أو المستند أو الخطاب أو المكتوب أو المعاملات الرسمية التي لم يرد بها كاتبها أن تكون شاهداً على التاريخ. مثال:

- عقود البيع و الشراء و الإيجار.
- عقود الزواج و الوفيات.
- كشوف الحسابات.
- التقارير السرية.

3.1. مصادر متجددة: مثل الدوريات (حنان سلطان و غانم ، 1984م، .، ص 141 .)

3. مصادر جغرافية ومراجع و البلدان والخطط..

- معجم البلدان: ياقوت الحموي.
- الروض المعطار: الحميري.
- مسالك الأبحار وممالك الأمصار: ابن فضل الله العمري.
- مرصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع: صفى الدين البغدادي.
- المسالك والممالك: ابن خردادبة.
- الأعلام النفيسة: ابن رسته.
- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق: الإدريسي.
- المسالك والممالك: الإصطخري.
- الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب: ابن الشحنة.
- نهر الذهب في تاريخ حلب: الغزي كامل.
- صورة الأرض: ابن حوقل.
- رحلة ابن بطوطة.
- رحلة ابن جبير.
- رسالة ابن فضلان: أحمد بن بحر.
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: المقرئزي.
- خطط الشام : محمد كرد علي.

1. مصادر و مراجع التاريخ العام .

- الأخبار الطوال: الدينوري.
- تاريخ الطبري: محمد بن جرير.
- مروج الذهب: المسعودي.
- المنتظم في أخبار الأمم والملوك: الجوزي.
- البداية والنهاية: ابن كثير.
- الكامل في التاريخ: ابن الأثير.
- تاريخ ابن خلدون.
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة: جلال الدين السيوطي.

2. مصادر و مراجع التاريخ العام

- المقتبس : ابن حيان.
- المعجب في أخبار المغرب : المراكشي عبد الواحد.
- نفح الطيب: المقرئ.
- الإحاطة في أخبار غرناطة: ابن الخطيب.

ثانيا: تعريف المرجع :

1. لغة: جاء في المعجم الوسيط "المراجع "جمع مرجع، والمرجع مصدر شاذ للفعل رجع "والذي يعني الرجوع، ومحل الرجوع، وما يرجع إليه في علم أو أدب من عالم، أو كتاب.

أما كلمة مصدر فهي متقاربة في معناها اللغوي لكلمة مرجع فالمصدر لغة (هو الموضوع أو المكان الذي يرجع إليه لأعلي مقدم كل شيء وأوله).

2. اصطلاحاً: هي: "أوعية المعلومات التي تملك من طبيعة التنظيم ومن المعلومات ما يجعلها غير صالحة لأن تقرأ من أولها لأخرها ، ككيان فكري مترابط ، ولكنها تصلح ليرجع إليها الباحث أو القارئ للبحث عن معلومة أو معلومات معينة".

و يمكن القول أنه هو الكتاب وما عليه من شروح وتذييلات يعد مرجع .أو كتاب يناقش قضية أو يكتب عن معلومة استقاهها من المصدر وأضاف إليها نقداً أو تحليلاً أو أعاد ترتيبها و تصنيفها ، وكل هذا اعتماداً على المصدر الذي وردت فيه المعلومة للمرة الأولى.

كما يعرف أيضاً على انه هو "كل ما كتب ونشر متأخراً عن زمن المصدر ، وكثيراً ما يكون المرجع قد أخذ عن المصدر الرئيسي ") ، د . حنان سلطان و د. غانم العبيدي ، 1984م ، ص 141 .، وهو أخذ مادة أصلية من مصادر متعددة ، وأخرجها في ثوب آخر جديد،(د. عبد العزيز الربيع ، ج 1 ، 2000م ، ص 93 .)

كما نجد فرقاً آخر ، ذكره الدكتور عميره وهو أن المراجع هي التي ألفت لعامة القراء لتكون أقرب شيء يرجعون إليه للعلم بالشيء ، أو العلم بعدة أشياء ، فالمراجع وضعت لعامة القراء ، أما المصادر فهي للمؤلفين والخاصة(د. عبد الرحمن عميره، 1986م ، ص 99). غير بعض الباحثين لا يرى فرقاً بين المصطلحين ، وذلك بالرجوع إلى التعريف اللغوي لها .

ثالثاً: الآثار والمعالم الاسلامية من خلال المصادر.

للآثار و المعالم الاسلامية قيمة كبيرة بين آثار العالم ، فهي تمتد من الشرق الى الغرب في آسيا و إفريقيا و أوروبا. و قد وضحت عناية المسلمين بالآثار و الكتابة عنها لقوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَعْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (سورة غافر الآية 82).

و في القرآن الكريم أشارت أخرى كثيرة إلى الآثار و الاعتبار ، كما حفظ لنا التاريخ الاسلامي اسماء كثيرة من المؤرخين الذين عنو بدراسة الآثار و المعالم و التحف ، نذكر على سبيل المثال المصادر الاسلامية التالية .

- السمهودي الذي كتب عن مسجد الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالمدينة المنورة .
- و الهمداني الذي كتب عن جزيرة العرب ، و من اشهر المؤرخين الذين عن الآثار المقريري ، كما اهتم الرحالة في العصر الوسطى بوصف الآثار الاسلامية التي كانوا يشاهدونها أثناء رحلاتهم ، و من اشهر هؤلاء الرحالة ناصر خسرو و ابن جبير و ابن بطوطة و العبدري و الوزاني و القائمة طويلة .

إن الآثار والمعالم الاسلامية التي شكلت المادة العلمية و الإخبارية للموضوع ، لا يمكن الاستغناء عنها ، و من هذا المنطلق وجب علينا تعريف بالمصادر التاريخية و الأثرية اهمها ما يلي :

1. أهمية النقوش و الكتابات الأثرية.

تعتبر النقوش و الكتابات الأثرية من أهم مصادر التاريخ بوجه عام و التاريخ الاسلامي بوجه خاص ، كما تعد الكتابات الاثرية بشقيها التذكاري و الشاهي ، من اهم المصادر بالنسبة للباحثين في علم الآثار و التاريخ و علم الاجتماع و الاقتصاد و الثقافة ، و من مميزاتهما انها

تنقش على المباني بمختلف اشكالها ووظائفها ، كما تنصدر التحف الفنية المتنوعة كانت معدنية أو زجاجية و خزفية ورخامية و حتى على الاحجار و المخطوطات و غيرها (صالح بن قرية ، 1993م، عدد 02)

فالكتابات الأثرية بما تحويه من أسماء وألقاب ووظائف و صيغ و اشارات و تواريخ بصعب الطعن فيها بسهولة ، فهي تفيدي في دراسة المجتمع من جميع جوانبه السياسية والاجتماعية و الاقتصادية و الفنية والفكرية و تصحح ما اهمله المؤرخون سهواً أو عمداً. و تزداد أهمية الكتابة كمصدر مادي معاصر في الدور التسجيلي الهام للأعمال الأثرية و التاريخية ، فقد تتضمن العبارات المكتوبة على الآثار أو المنفذة بطريقة شتى على المباني و التحف ، اسم الصانع ، ومكان الصناعة و تاريخها ، و اسم من صنعت لأجله ، و القابه ووظائفه .، و بعض الأدعية والأوامر الإدارية ، و الألفاظ اللغوية و المصطلحات وغيرها من الامور التي قد لا نجد لها مثيلاً في المصادر التاريخية و الأدبية خصوصاً و ان هذه الأخيرة كثيراً ما تتعرض لنصوصها للإضافة و الحذف و التزوير. و في هذا الصدد اعتمدنا على بعض النقوش التأسيسية في دراسة مسألة تأريخ المؤسسات و الغرض من نشأتها و الوظيفة المنوطة بها .

و تكمن أهمية الآثار في كونها تحوي نقوشاً كتابية أصلية معاصرة للأحداث التاريخية القديمة وهي غير قابلة للتحرير والتصحيح لذلك فهي تعتبر سجلاً تاريخياً حياً لتلك الحضارات ، فهذه النقوش كشفت لنا الكثير من الحقائق التاريخية الثابتة عن حياة تلك الشعوب وثقافتها القديمة و تكشف لنا عن مدى ما توصل اليه العرب إليه من درجة إتقان فني في العمارة و النحت.

وهناك كثير من الآثار المنقوشة في جزيرة العرب كتبت بأقلام مختلفة أشهرها الثمودي والآرامي والنبطي والمسند وأكثرها عبارة عن أدعية دينية وأسماء لأشخاص أو لبعض القواد والملوك وألقابهم وأعمالهم ودياناتهم فهذه الكتابات الأثرية بما تضمنته من أخبار تعتبر مادة أساسية لتاريخ العرب وتاريخ حضارتهم لا سيما ما يتعلق منها بالدراسات اللغوية.

2. أهمية المسكوكات :

تعد المسكوكات مصدراً مهماً من مصادر التاريخ و الآثار و الحضارة الإسلامية ، و على حد قول عالم النميات الأمريكي جورج س مايلز (George .C.M. 1938, p 43)، في مقدمة كتابه عن تاريخ الري النقدي " لا يوجد حقل في التاريخ خدمته مسكوكاته بالقدر الذي خدمت به المسكوكات الاسلامية التاريخ الإسلامي "

لقد لعبت المسكوكات الاسلامية دوراً هاماً في الحياة السياسية في العصر الاسلامي بصورة لم يسبق لها مثيل في أي عصر من العصور ، و ذلك لما تمتعت به من أهمية كبيرة في النظام السياسي للدولة الاسلامية منذ صدر الإسلام ، فقد كانت تمثل أهم شارات الملك و السلطان التي حرص على اتخاذها الخلفاء و الحكام بعد اعتلائهم للحكم مباشرة .

كما تعد مصدراً مهماً لتوثيق التاريخ والإرث الحضاري الإسلامي ، وتعتبر مرآة صادقة لأهم الأحداث في التاريخ الإسلامي ، بالإضافة إلى انها سجل منظور لما كانت عليه أحوال البلاد الإسلامية من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

3. الآثار والمعالم :

إن استغلال المصادر المادية المتمثلة فيما بقي من مخلفات و آثار المدارس و الجوامع لأنها تعكس المستوى الذي بلغته الحضارة الإسلامية عمرانياً و فنياً و ثقافياً ، خصوصاً و أن بعض المنشآت ما تزال قائمة ، تحتفظ بكتابات أثرية منقوشة تؤرخ لها و لوحات وقفية (وثائق التحسيس) التي لا يمكن الاستغناء عنها في موضوع حضاري مثل موضوع المدارس ، و في هذا الشأن يمكن الوقوف على بعض المعالم

الأثرية التي لا تزال قائمة في حين نتأسف على ضياع بعضها و أن ما تبقى منها أصبح عرضة للإهمال و الضياع ، إما تهاونا من المصالح المعنية أو عدم إدراك قيمتها الحضارية ، كشواهد مادية على إسهامات المغرب العربي في الحضارة الإسلامية .

1.3 اهم الكتابات الأثرية في الفترة الإسلامية .:

1.1.3. الوقفيات (وثائق التحبب).

تعتبر الكتابات الوقفية (الوقفية : مشتقة من وقف و يجمع على وقوف ، و الوقف لغة هو الحبس و المنع ، و الوقف مصدر أريد به اسم المفعول ، فيقال : هذا العقار وقف ، أي موقوف ، و من ثم جمع على أوقاف (زهدي يكن، 1971م، ص 41) من المصادر الأثرية الأصلية ذات القيمة العلمية الهامة ، و التي لم تحظ بدراسة كافية من قبل الباحثين و المؤرخين و الأثريين و غيرهم ممن يشتغلون بالعلوم الانسانية ، على الرغم من أهميتها التاريخية ، وارتباطها بالكثير من الجوانب الدينية و الفكرية والاجتماعية و الاقتصادية ، و لحسن الحظ ، فإن قسماً معتبراً من هذه الوقفيات ، سواء كانت و قفيات منقوشة على صفائح الرخام التي تزين بعض المساجد و المدارس و الزوايا و الأضرحة ، او وثائق تحبب مخطوطة (السعيد بو ركة، 2002م، ص61) ، ما تزال محتفظة بشكلها و محتواها ، كما هو الحال بالنسبة للخزائن الكثيرة المنتشرة في صحراء الجزائر ، حيث توجد فوقها نفائس المخطوطات عن الوقف و أهميته.

إن مفهوم الوقف اصطلاحاً، هو ما عرّفه الإمام (ابن عرفة الفقيه التونسي المالكي المتوفى 803 هـ) بقوله : « هو إعطاء منفعة شيء مدة وجوده ، لازماً بقاءه في ملك معطية ، و لو تقديراً » .

أو بوضع مجموعة من الأملاك و العقارات حبساً ، لفائدة مؤسسة من المؤسسات داخل المجتمع ، كالمؤسسات الدينية و العلمية و الإستشفائية و الخيرية أو المنشآت الاجتماعية ، و هكذا ظهر نظام وثائق التحبب ، و هو عبارة عن سجلات رسمية تدون فيها ممتلكات الأوقاف لحل المشاكل التي قد تعيق حسن التصرف في توزيع مداخيل الأوقاف . (ابو العباس احمد الونشريسي، ج7، 1981 م. و تكمن أهمية الكتابات الوقفية في معرفة تشريفات وألقاب الحكام ، و وطبوغرافية المدينة بالإضافة للمرافق و المعالم التي تشتمل عليه المدينة ، من دروب و أحياء و حومات و تسليط الضوء على الجانب العمراني للمدينة والقرى او المداشر المجاورة لها، فضلا عن أسماء العملات المتداولة ، تتضمن الكتابات الوقفية على مجموعة من الصيغ المتنوعة ، مثل البسملة و التوصية و الحمدلة والتكبير ثم التكبيره قصد التقرب من الله عز وجل ، و ذكر اسم المحبس مع ألقابه الرسمية و الفخرية ، متبوعة بذكر أسماء آبائه و أجداده مع ألقابهم.

وهكذا تبدو الوقفية نية بالمعلومات و البيانات الدقيقة التي يحتاج إليها الباحث في كتابة التاريخ ، فضلا عما سبق ذكره تتضمن الوقفية لائحة الأملاك المحبسة على البناية لضمان سيرها الحسن ، و أداء وظيفتها و اصلاحها في حالة تخريبها أو تلاشيها ، وهي تتألف من دكاكين و أريحة و أفران و حمامات و مساكن و أطرزة و فنادق.

اشتهر نظام الوقف ، بالمغرب الأوسط بشكل كبير خلال الفترة الزيانية ، بفضل الجهود التي بذلتها الدولة ، حيث حبس سلطنتها كثيرا من العقارات و الأملاك و المرافق في وجوه عدة تمس الحياة الدينية و التعليمية بالمغرب الأوسط .

2.1.3. مصادر تاريخ مدارس تلمسان في العهد الزياني . (633-962هـ / 1235-1554م).

اشتهرت مدينة تلمسان ، بكونها الحاضرة السياسية و الثقافية و العلمية ، التي احتضنت عدداً من المراكز الدينية و العلمية ، و استوطنها كثيراً من العلماء و الادباء ، و ازدهرت فيها الثقافة و الحرف و الصنائع و الفنون ، و بلغت درجة كبيرة من التطور الفكري والاقتصادي (الحسن الوزان ، ج1 ، ، 1983م، ص 17). لتحتل مكانة الصدارة منافسة بذلك أكبر المراكز الفكرية و العلمية بالمغرب الاسلامي مثل القيروان و فاس و قرطبة.

و في تلمسان ظهرت المدارس لأول مرة في مسيرتها التاريخية ، كمؤسسات تطور الحركة العلمية ، التي كانت تؤطرها الحلقات الدراسية بجامع تلمسان الأعظم ، و المساحد المحيطة به ، و تخرج منها عدد كبير من العلماء الأعلام و الفقهاء و الأدباء المبرزين ، حتى غدت مساجدها و مدارسها معياراً يقاس به نمو الحركة العلمية ، و مؤشراً على مدى ازدهار الثقافة و العلوم و الفنون و الآداب. و تعتبر المدرسة من القضايا التي أثارت اهتمام الباحثين و المشتغلين بالتاريخ الاسلامي عامة و المغرب الاسلامي على وجه الخصوص. (ابن قنفذ القسنطيني، 1965م، ص 102-103)

و يبدو أن ظهور المدارس بالمغرب الإسلامي ، كان من احسن ما نقله الرحالة المغاربة الذين جابوا بلاد المشرق و تردّدوا على المعاهد العلمية و المدارس النظامية التي عمت شهرتها ، و الدليل على ذلك ما ذكر في رحلة ابن جبير الذي ذكر عن حاضرة العباسيين التي زارها في سنة (582 هـ / 1186م)، مشيراً إلى عدد مدارسها والأوقاف التي أوقفت عليها قائلاً: { والمدارس بها نحو الثلاثين ، وهي كلها بالشرقية ، وما منها مدرسة لا هي يقصر القصر البديع عنها ، و اعظمها واشهرها النظامية ، و هي التي ابتناها نظام الملك ، (CH) Brosslard (R.V A) , 1959 , PL 17,) و جددت سنة اربع و خمسمائة ، و لهذه المدارس أوقاف عظيمة و عقارات مهبسة تتصير إلى الفقهاء { (يحيى بن خلدون ، ج1 ، ، 1980، ص 127-128). }

و عندما زار مدينة دمشق عاصمة الأمويين لاحظ هذه الظاهرة ، و قال عنها بعد أن وصف مسجدها الأعظم الذي بناه الوليد بن عبد الملك الأموي سنة (86-96هـ / 705-714م) ، و من احسن مدارس الدنيا منظرًا مدرسة نور الدين رحمه الله .. و هي قصر من القصور الأنيقة . (ابن مرزوق ، 1881م، ص 406).

هكذا ظهرت المدارس بالمشرق الإسلامي خلال القرن الخامس الهجري - الحادي عشر ميلادي.

أما فكرة انتقال المدارس من المشرق الى المغرب ، خاصة المغرب الوسط في العهد الزياني كما تناولتها المصادر التاريخية و كتب النوازل . لقد ربطت أغلب الدراسات المهمة بالموضوع، بين ظهور المدرسة كمؤسسة، والصراع بين السنة و الشيعة، و استخدمت المدرسة لتثبيت الفكر السني و الحفاظ عليه و تطويره. و انتشرت المدارس بعد ذلك ، في بلاد الشام و مصر ، و من مصر انتقلت إلى إفريقيا و الاندلس و المغرب.

اختلف الباحثون حول بداية ظهور المدرسة المغربية بفعل تباين المصادر المعتمدة في الموضوع (Marçai (G), et W, OP.CIT , P) (274) ، و هكذا اعتمد عبد الهادي التازي ، على بعض الإشارات الواردة في كتاب " الاستقصاء للناصري " ليقرّر ظهور المدارس في العصر المرابطي ، كمدرسة الصابرين بفاس ، و مدرسة وجاج بن لو اللمطي ببلاد سوس (حسن الوزاني ، ، ج2 ، ص 24).

اما ابن ابي زرع، فيذكر في كتابه "الانيس المطرب"، أن الخليفة الموحي يعقوب المنصور (580-595 هـ / 1184-1199م) قد " بني المساجد و المدارس في بلاد إفريقية والمغرب و الأندلس ، وأجرى المرتبات على الفقهاء و الطلبة على قدر مراتبهم وطبقاتهم ". (المرحوم رشيد بورويبة، 1979م، ص 83) . و ذكر ابن مرزوق في كتابه " المسند الصحيح " ليبدلي في مسألة برأي مخالف تماماً، و يقرّر بأن ، (

(Brosslard CH) 1959, P401-410. " إنشاء المدارس كان في المغرب غير معروف حتى أنشأ مولانا الملك العابد" ابو يوسف يعقوب المريني"، مدرسة الحلفائين بمدينة فاس و بعدوة القرويين منها.

اما بالنسبة لبلاد المغرب الاسلامي ، فيبدو واضحا من أقوال الرحالة ان اول مدرسة أنشأت كانت " المدرسة المنتصرية " التي بنيت بطرابلس الحفصية بين سنتي (655 - 658 هـ / 1257-1260 م) التي أشار إليها التجاني في رحلته المدونة في مطلع القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي بقوله : " أحسنها المدرسة المنتصرية التي كان بناؤها. فيها بين سنة خمس و خمسين و سنة ثمان و خمسين" (ابن مرزوق، المصدر السابق ، ص 220.)، و يذكر ذلك قبل أن يضيف نقلا عن التقاليد القريبة من الحدث ، و ربما كان يعني " المدرسة التي أنشأتها بها المهمة العلية الإمامية المنتصرية " (ابن الاحمر إسماعيل ، 1972 م ، ص 64) .
و كأنها القاعدة لانطلاق بناء بقية المدارس التي أشار إليها من قبل و لا يقف عندها.

و بالتالي ، فهل معنى ذلك أن المستنصر الحفصي الذي ولي الحكم سنة (646هـ / 1248م) ، ثم تلقب بلقب الخليفة سنة (650هـ / 1252م) ؛ قد أخذ في التقرب من المالكية في إفريقية عن طريق تأسيس المدرسة ، بالمعنى السني للكلمة ، فاختار لبنائها مدينة متاخمة لمنطقة الشرق الإسلامي و بعيدة في نفس الوقت عن عاصمته (الموحدية) مدينة طرابلس(ابن بطوطة، ج 2 ، 1985م، ص 820) .(محمد القبلي ، 1995م، ص 51)

فهل من أسباب منطقية يمكن أن نفسر بها تأسيس المدارس بطرابلس الغرب الحفصية ، و المدرسة الموحدية بمراكش اللتين تزامن ظهورهما في فترة واحدة ؟.

و يفهم من كلام ابن مرزوق نفيه القاطع بوجود المدارس ببلاد المغرب قبل المرينيين ، و قد يكون إقراره لهذه الحقيقة ، هو انتقاد صريح لرأي سلفه ابن زرع .

ولكن اندثار المباني التعليمية التي ترجع الى الفترة السابقة عن المرينيين ، و غياب التحريات و الحفريات و التنقيبات الاثرية تجعلنا نفتقر إلى المعطيات التي تكشف عن شكل تلك الهياكل المعمارية و تخطيطها ووظائفها.

فمع غياب الشواهد الاثرية، و الغموض الذي يكتنف المصطلحات المتداولة في المصادر يمكن القول بأن المغرب الإسلامي ، عرف هياكل تعليمية قبل ظهور المرينيين إلى جانب حلقات العلم التي كان تؤطرها العلماء بالمساجد و الجوامع ، و لكنها لم ترق من حيث الشكل و المحتوى ، أو حتى من حيث التصميم المعماري و الوظيفة إلى ما اقترن بمفهوم المدرسة أيام المرينيين و الحفصيين و الزيانيين.

إن المدرسة بمفهومها و مدلولها الجديدين ، كانت عبارة عن مؤسسة رسمية بنيت بإيمان من السلطان الحاكم ، وفق تخطيط محكم يستجيب لوظائفها التربوية و الاجتماعية ، المتمثلة في إيواء الطلبة الغراء عن المدين و في تدريس العلم و تلقين القرآن الكريم ، و نستخلص هذه الوظائف من عبارة صريحة في وثيقة تجيب مدرسة فاس الجديدة ، جاء نصها فيما يلي: } و كمل بناء هذه المدرسة المباركة و بدأ بالإقراء فيها و سكانها في ذي القعدة عام 721 م.(علي الجنائلي ، 1991م، ص 76).

و قد روعيت هذه الوظائف أثناء و ضع تصميم المدرسة المرينية بشكل خاص ، لكن تصميم المدرسة الزيانية ربما اختلف عنها في بعض التفاصيل و باستثناء المدرسة التاشفينية التي وصل إلينا مخططها و التي تشبه نظيرتها المرينية ، فهي تتميز بصغر حجمها و قلة مرافقها ،

تحتوى على غرف الطلبة و على قاعة للصلاة و للدرس في آن واحد ، و ينتظم الجميع حول صحن مكشوف ، يستعمل أحيانا لإعطاء الدروس.

واستهدف المرينيون و من بعدهم الزيانيون من خلال بناء المدارس إلى احياء المذهب المالكي ، ورد الاعتبار لعلمائه الذين تعرضوا لمضايقات زمن الموحدين .(ابن خلدون ، العبر ، ج 7 ، 1981م، ص 379 .) كما تشير الى ذلك ، العبارة التالية الواردة في عدد من لوحات تجييس المدارس بفاس: { الحمد لله رب العالمين رافع درجات العالمين و مجزل ثواب العاملين المحير(كذا) } بالمدرسة لتكون أداة للسلطة لتكون الاطر و العلماء المختصين في المذهب المالكي مع الاهتمام بتدريس مختلف العلوم و المواد الأخرى ، و من هذا المنطق يمكن القول ، بأن المدرسة المغربية تنسجم مع الهدف العام الذي أنشئت من أجله المدرسة بالمشرق الإسلامي.

و لكي تتمكن المدرسة الزيانية - المرينية من القيام بوظيفتها و تأدية رسالتها،و فر لها السلاطين الإمكانيات اللازمة على شكل أملاك جبسية .

و خلاصة القول أن المدرسة الزيانية هي مؤسسة سلطانية النشأة والتمويل ، أقيمت خصيصا لإيواء الطلبة و تدريس العلوم ، وخاصة منها المقترنة بالمذهب المالكي لتعزيز مكانته في الدولة ، بتخرج العلماء والعاملين بمقتضياته على المستوى الشيعي،و تحقيقا لهذه الغايات الكبرى ، و تقديرا منهم للعلم و العلماء تفنن الزيانيون في تخطيط مدارسهم فهذا أبو حمو موسى الثاني الذي وجه عناية إلى المدرسة الموضوعة على ضريح والده " ابي يعقوب " فضاعف فيها الفعلة و أوجب الأبنية ... و أجزل الاوقاف ، و عين الجرايات و رسم فيها الخطط .(BEL(A) , 1981,P 363-364) ، فجاءت آية في الحسن و الجمال.

و هكذا ظهرت المدرسة بالمغرب بالمغرب الأقصى كسلسلة متصلة الحلقات ، افتتح عهدها السلطان المريني أبو الحسن علي (731-749هـ) بتشبيده مدرسة الحلفائين (الصفارين) كأول مدرسة بفاس و ذلك حوالي سنة (670هـ / 1271م) (ابن مرزوق ، ص 405) ، ثم اتبعها بمدارس عدة في كل بلد من بلاد المغربين الاقصى و الاوسط ، بل خطط لبناء مدرسة بمدينة قسنطينة إلا أن انشغاله بحملته على إفريقيا حال دون تحقيق هدفه .(Marçai (G), et W, OP.CIT , P278) ، لتأوي طلاب العلم و توفر لهم شروط الراحة و التفرغ لطلب العلم . و تابع سلاطين الدولة الثلاثة التي تقاسمت بلاد المغرب هذه المسيرة العمرانية العلمية بتأسيس المدارس في حواضرهم.

1.2.1.3. مدرسة أولاد الامام :

هي اول مدرسة أسست من طرف الزيانيين ، كانت تسمى بالمدرسة القديمة ، أسسها السلطان أبو حمو موسى الاول بالمغرب الأوسط و ذلك سنة (710 هـ/ 1310 م) ، و قد أنشأها تكريما للعالمين الفقيهين أبي يزيد عبد الرحمن و أخيه أبي موسى عيسى ابني الإمام الفقيه أبي عبد الله محمد بن الإمام من برشك ، فصارت تعرف باسمهما(أي مدرسة أولاد الامام) ، و كان موقعها بالقرب من باب كشوطة غرب مدينة تلمسان.(ابن خلدون(يحي:ج1 ، ص 130)

و مما يؤسف له أن المصادر لم تسعفنا بالمعطيات اللازمة عن تشيد هذا المشروع العلمي ، الذي يذكرنا بنظيره المريني الذي قام به بنو مرين في المغرب ، و أن ما توفر لدينا من معلومات قليلة ، حول ظرفية تأسيس هذه المدرسة إلا ما ذكره التنسي الذي كان يتحدث عن ابو حمو موسى الاول بقوله العبارة التالية { كان محبا للعلم و أهله معتنيا به قائما لحقه ، ابنتى مدرسة لأبني الإمام تكراماً لهما و احتفاء بهما ، و

شكرا لله على نعمته عليه لقتل عدوه أبي يعقوب المريني ، و تخليص تلمسان منه. (محمد التنسي ، 1985م ، ص 139) و قد بنيت داخل باب قشوط (ابن مريم ، 1981م، ص 126).

اما نخطط المدرسة وهيكلها مع منزل الفقيهين ، فقد اندثرا ولم يبقى إلا المصلى (Marçai (G), 1937,p 204) ، لقد اعطى جورج مارسى في كتابه إشارات تاريخية و قام برسم صورة افتراضية للموقع الذي كانت تشغله المدرسة و مخططها ؛ و تقع غرب مسجد اولاد الامام و شماله ، أي انها كانت تتألف من قاعتين كبيرتين ، يلتقي فيها طلبة العلم من الشيخين الكبيرين ابني الامام (Marçai (G), p 263).

ولكن غياب الشواهد الاثرية ، المتمثلة في الحولات الحسبة أو وثائق التحسيس الملحقة بالمدرسة ، يصعب التعرف علي دور المدرسة الفكري و مساهمتها في التنمية الثقافية الاسلامية و نشر العلوم .

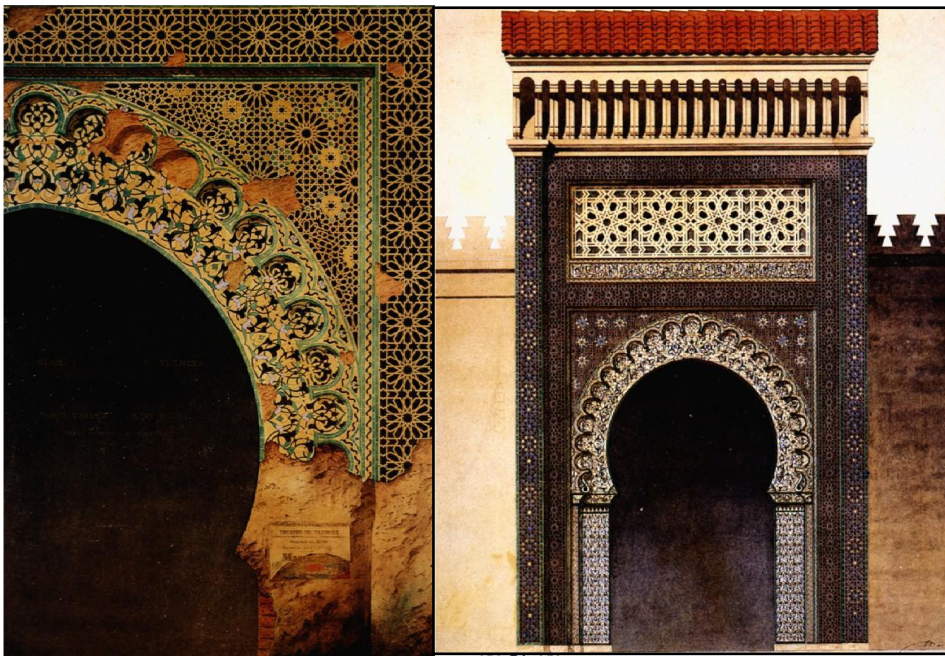
استمرت هذه المدرسة المذكورة تؤدي رسالتها التعليمية حتى القرن العاشر الهجري ، حسب كتاب ابن مريم " البستان " (ابن مريم،ص 126) ، بل واصلت نشاطها إلى غاية منتصف القرن الثالث عشر الهجري . التاسع عشر الميلادي حسب ما ذكره Barges(J-J) 1848 , P181-188 (L).

2.1.3. المدرسة التاشفينية :

تعد ثاني مؤسسة زيانية أسست بالمغرب الاوسط ، بناها السلطان ابو تاشفين عبد الرحمن بن ابي حمو موسى الاول ، الذي تولى إمارة تلمسان في الفترة ما بين (718-737هـ / 1318-1337م).

تقع بإزاء المسجد الجامع جنوباً ، فهي توجد في مجال يميز النواة الاولى بعد جامع اغادير الذي أسسه إدريس الاول خلال النصف الثاني من القرن الهجري.

و يظهر أن اختيار وقع المدرسة ، لم يكن وليد الصدفة ، بل خضع لاعتبارات استراتيجية ، و ذلك في رغبة مؤسسها في الاستفادة من هذا المجال الحيوي الذي بنيت فيه حتى تستطيع المدرسة اداء رسالتها التعليمية بوجودها في فضاء يضم أقدم (صورة رقم 01)



صورة رقم 01 : باب و اطار المدرسة التاشفينية عن Don Joy

و يذكر التنسي أن التاشفينية من مآثر السلطان أبي تاشفين الزياني (محمد التنسي ، ص 141). ، ومن المصادر التي اشارت إليها أيضاً ؛ المقرئ في كتابه نوح الطيب الذي ذكر أنه " رأي مكتوباً بأعلى دائرة مجرى الماء بمدرسة تلمسان التي بناها أمير المسلمين أبو تاشفين الزياني ، وهي من بدائع الدنيا .(احمد بن محمد المقرئ ، ج6 ، ص 223-224).

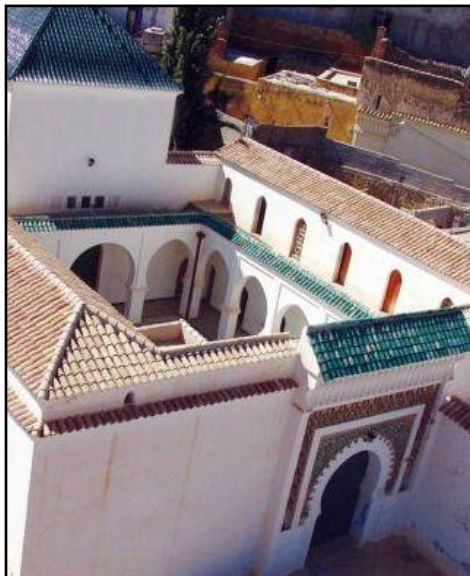
و تعد المدرسة التاشفينية من أفخم المدارس في تلمسان و ذلك حسب ما ذكره المؤرخون ، و ظلت قائمة حتى بعد الاحتلال الفرنسي ، لكنها تعرضت للهدم و للتخريب سنة 1873 م من قبل الإدارة الفرنسية.لكن قبل التدمير قام المهندس Duthoit مع الرسام Danjoy بالرفع المعماري و الفني ، حيث رسمت لها بعض من فسيفسائها،و إحدى واجهاتها (Dethoit (E), , 1873, 3^e serie, t1, p325).

و يعتبر تخطيط المدرسة التاشفينية ذو ميزة خاصة لا مثل لها في أية مؤسسة أخرى ،فهو فريد من نوعه حتى في المغرب الإسلامي ، و إن كان هناك من تخطيطات ليوت الصلاة في المدارس المرينية في فاس قريبة الشبه بتخطيط المدرسة التاشفينية فهي مدرسة أبي الحسن في سلا ،فان تنظيمها المعماري يختلف عن أي تنظيم لأي مدرسة أخرى مرينية. (Golvin (L), 1995,p 2,3).

3.1.3. مصادر آثار مدارس تلمسان في العهد المريني (723-759هـ / 1322-1357 م)

1.3.1.3. مدرسة سيدي بومدين بالعباد:

في ضاحية تلمسان بقرية العباد قرّر السلطان أبو الحسن علي بن أبي سعيد عثمان المريني ، إنشاء مدرسة بها سنة (747هـ / 1347م) لتكون أول مركز علمي و ثقافي ، يساهم في الحركة الثقافية بمدينة تلمسان ، إلى جانب المدارس العلمية المعروفة آذاك، و يبدو أن المدرسة الجديدة غلب عليها اسم العباد ، فأصبحت منذ تاريخ إنشائها تعرف (بمدرسة العباد) . كما عرفت باسم مدرسة سيدي بو مدين ايضاً. (صورة رقم : 02)



صورة رقم : 02

مدرسة مرقد سيدي ابي مدين رحمه الله

وقد أشار ابن مرزوق إلى هذا الحدث قائلاً: { و بالعباد ظاهرة تلمسان و حذاء الجامع الذي قدمت ذكره ، و بالجزائر مدارس مختلفة الاوضاع بحسب اختلاف البلدان } . (ابن مرزوق ، ص 406) .

وقد اطلق على المدرسة اسم الخلدونية في فترة تالية ، و لعل هذه التسمية التي اتصفت بها جاءت من تعلم عبد الرحمن ابن خلدون بها (Marçai (G), et W,p 274.) . وذكر الحسن الوزان بقوله: { و هناك مدرسة جميلة جداً أسسها بعض ملوك بني مرين يقرأ في الرخامتين المنقوشتين عليهما أسماءهم .. } (الحسن الوزان ، 1983م ، ج 2 ، ص 24)

و هي تقع إلى الغرب من المسجد الجامع ، يفصلهما عن بعضهما رواق معقود ، و قد أكدت وثيقة التحسيس المنقوشة على لوحة رخامية في بدن الدعامة الاولى على يسار بلاطة المحراب العمودية بالجامع الملاصق لها... اسم مؤسسها و الأوقاف المحبسة عليهما نقرأ فيها " الحمد لله رب العالمين و العاقبة للمتقين ، امر ببناء هذا الجامع المبارك و المدرسة المتصلة بغريبه مولانا السلطان الأعدل أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين ابو الحسن ... } (رشيد بورويبة ، م 1979 ، ص 83) .

اما النص التأسيسي، فقد كتب في شريط أعلى المدخل الرئيسي ما يلي: { الحمد لله وحده أمر بتشييد هذا الجامع المبارك مولانا عبد الله ابن مولانا أبي يوسف يعقوب ابن عبد الحق ايداه الله و نصره عام تسعة و ثلاثين و سبعمائة نفعهم الله به } . (CH) (Broslard R.A. N°18° , P108-109

اما تاريخ بناء المدرسة يؤكد النقش التأسيسي الذي يزين رتبة رتبة قبة قاعة الصلاة بالمدرسة نفسها .
و مما لا شك فيه أن تلك النصوص المنقوشة التي تزين مساجد و مدارس بني مرين بالمغرب الاوسط ، و تحديدا بمدينة تلمسان الزانية ؛ إنما تعبر قبل كل شيء عن تدين مؤسسها و تمسكهم بالدين الإسلامي الحنيف ، و تعظيم العلم و أهله و إبراز أهمية هذه المؤسسات في التعليم و تكوين الأطر الدينية ، و نشر العلم والثقافة الإسلامية تدريسا و تفسيراً و تأليفاً. كما يمكن النظر إليها أيضا من زاوية إعلامية و دعائية على اعتبار أنها تمثل شكلا من أشكال الدعاية لحكمهم، حتى يضافوا عليه صبغة شرعية، تنال رضا الناس.

ان ابا الحسن علي أوقف على المدرسة والجامع أملاكاً بالمدينة ولا تزال اللوحة التذكارية الرخامية التي نقشت عليها الحوالة الحسينية التي تقع داخل بيت الصلاة بجامع سيدي بومدين ، التي تحتوي على لائحة الممتلكات ، فإنها لم تحظى بدراسات الى يومنا هذا من قبل الاثريين و المؤرخين ، على الرغم من اهميتها كوثيقة غنية بالمعلومات و البيانات التي تمم الباحثين .

و اذا كانت مدرسة العباد أي ؛ مدرسة سيدي بومدين ، هي أول مدرسة تعليمية جامعية أسست ملاصقة للجامع ، فإن السلطان ابي عنان ابن الحسن المريني أنشأ هو الآخر مدرسة بجوار ضريح الولي الصالح أبي عبد الله الشاذلي الاشبيلي الملقب بسيدي الحلوي (يحي ابن خلدون، ج 1 ، ص 121 - 128) وهي ثاني مدرسة تأسست في مدينة تلمسان الزانية ، و ذلك سنة (754 هـ / 1353 م) . لقد



اختار مكاناً منحدرًا عبارة عن حي سكني ، تشرف عليه أسوار تلمسان الشمالية الشرقية لانحياز المشروع المعماري الكبير الذي يتألف من المسجد و المدرسة و الزاوية و الضريح ، (Marcais (G)et(W),p 258) (صورة رقم : 03).

وذكر ابن بطوطة (رحلة ابن بطوطة، ج 2، 1985م، ص 820). { أن ابا عنان كان يعقد مجالس العمل في كل يوم بع صلاة الصبح ، و يحضر لذلك أعلام الفقهاء و نجباء الطلبة بمسجد قصره الكريم ، فيقرأ بين يديه تفسير القرآن العظيم ، و حديث المصطفى صلى الله عليه و سلم و فروع مذهب مالك " .

لقد أكد الحسن الوزاني ، وجود هذه المؤسسات في القرن العاشر الهجري ، بقوله: { و توجد بتلمسان مساجد عديدة جميلة ، و لها أئمة و خطباء كما تحوي ايضاً خمس مدارس بديعة حسنة البناء و مزدانة بالبلاط الملون و غيرها من الأعمال الفنية ، شيد معظمها ملوك تلمسان ، و البعض الآخر ملوك فاس}. (حسن الوزان ، ج 1 ، ص 390)

كما ذكر مارمول أيضا بقوله : أن تلمسان بها عدة أساتذة في مختلف المدارس يقومون بالتدريس كل يوم و يؤجرون من أوقاف هذه المؤسسات . (مارمول(ك) ، 1989، ص 300)

و يبدو من اشارة ابن مريم أن المدرسة و الزاوية ظلتا قائمتين حتى أوائل القرن العاشر الهجري ، السادس عشر الميلادي (ابن مريم ، ص 33) .. و مما يؤسف له ، أن هذه المنشآت المعمارية الهامة اندثرت معالمها و لم يبقى منه سوى الجامع و الميضاة ، الذي لا يزال محتفظاً بشكله و عمارته الرائعة.

اما فيما يتصل بمهندستها فقد ذكر ابن مرزوق عن جمال مدارس أبي الحسن المريني قائلا : " : و كلها ، قد اشتمل على المباني العجيبة و الصنائع الغريبة و المصانع العديدة و الاحتفال في البناء و النقش و الجص و الفرش على اختلاف أنواعه من الزليج البديع و الرخام المجزع و الخشب المحكم النقش و المياه النيرة" (ابن مرزوق، ص 303).

لم تكن فكرة تأسيس من المدارس الجامعة في المغرب الإسلامي ، على يد سلاطين بني مرين ، فكرة جديدة بل سبقهم إلى ذلك الموحدون و سلاطين بني حفص في تونس ، لذلك استهدف المرينيون من بناء المدارس هو محاربة المذهب الموحي و إحياء المذهب المالكي ، إلى جانب نزوح عدد كبير من أهل الأندلس المالكيين (محمد القبلي ، 1987م ، ص 99-100). إلى المغرب بعد سقوط بعض المدن كاشبيلية و قرطبة.

تميزت المدارس المرينية في المجالات الفنية والتنظيمية و أيضا في الدور الفكري ، و تأثر المرينيون بما كان سائدا في المشرق الإسلامي و مغربه من إنشاء المدارس على يد السلاجقة و الأيوبيين و الحفصيين ، و إن توطيد أركان الدولة لا يقوم فقط على القوة العسكرية بل لابد من التقرب من رجال الدين و الاعتماد على ركيزة دينية و يكون ذلك بتأسيس المدارس الرسمية بحيث يكون أساتذتها و طلبتها مرتبطين بالسلطان الذي عينهم في تلك المؤسسات و أغدق عليهم بالهدايا و الرواتب الشهر. (مليح السعيد، 1988-1989م، ص 102).

و لقد أعطت أيضا وثائق التحجيب التي تعد مصدرا من المصادر التاريخ و الآثار ، الهدف من إنشاء المدارس المرينية بصفة عامة ، و من وثائق التحجيب الدالة على ذلك ، وثيقة التحجيب المحبسة على مدرسة الدار البيضاء (فاس الجديد) التي تضمنت ما يلي: "الحمد لله رب العالمين و مجزل ثواب العاملين المحي بالمدارس ما درس من معلم العلم و الدين.... و بعد فهذا ما أمر بتخطيطه و إنشاءه دفعا و ردعا لأيدي المعتدين مولانا الخليفة الإمام.... أبو سعيد نور الله تراه.... على إقرأ القرآن العظيم و تدرّس العلم بمدركته المباركة" (Bel (A) : 1971 ; t VI , p 158-160). أي أن الرغبة من إنشاء هذه المدرسة هو الرغبة في الحصول

على الثواب ، لأنها تعتبر صدقة جارية ينتفع من ثوابها منشؤها بعد وفاته (ابن مرزوق: المسند الصحيح ، ص 407).

الخاتمة:

توصلنا في موضوع "الآثار و المعالم من خلال المصادر الإسلامية وكيفية الاعتماد عليها" عن بعض النتائج منها أننا وضحنا أن المصادر التاريخية التي ألفها المؤرخون المسلمون لا تحتل الأهمية ذاتها بوصفها مصادر للمعلومات التاريخية ، فهي وان كانت جميعها تعود إلى العصور الإسلامية ، غير أنها تختلف من حيث الأهمية ، فمنها ما يمكن أن نطلق عليه مصدر أولي ، ومنها ما هو ثانوي ، والأساس الذي يعتمد عليه في التمييز بين هذين المفهومين هو المدة الزمنية والمساحة المكانية التي يعالجها موضوع البحث ، فإذا كان هذا الموضوع يتناول مشكلة تاريخية في العراق في القرن الثالث الهجري ، فإن المصدر الأولي في هذه الحالة هو كتابات اليعقوبي القريبة مكاناً و زماناً ، اما كتاب " البداية و النهاية " لا بن كثير الدمشقي (المتوفى 774 هـ / 1372 م) الذي يتناول فيه تاريخ واسط في القرن الثاني الهجري ، فالمصدر قديم لكنه بعيد جداً زماناً عن الموضوع ، لذا لا يعد مصدراً أولياً.

إن المؤرخ الذي يكتب أخبار الأحداث مشاهدة هو الذي يتفوق من حيث الدقة والتفصيل على غيره ممن يعتمد على السماع، فكتابات المؤرخ الأول أهم من حيث دقة المعلومات من كتابات المؤرخ الثاني. كما أوضحنا سبل الاعتماد على المصادر انطلاقاً من نوعية الموضوع المختار للبحث ، فضلاً عن سرعة الوصول إلى المصادر المطلوبة ، فالموضوع الذي يتناول شخصية تاريخية يكون جل اعتماد الباحث في اقتباس النصوص على كتب التراجم ، والموضوع الذي يتناول فترة زمنية معينة ، فان الباحث يجعل من كتب التواريخ العامة الأساس في نقل المعلومات الأولية ، وهذا لا يعني أن الموضوعين سيستغنيان عن بقية المصادر ، بل يعتمد عليها ولكن بدرجة أقل تبعاً لطبيعة الموضوع ونوعية المادة وكثرة النصوص.

و نستخلص من مصادر تاريخ تلمسان الحاضرة السياسية و الثقافية و العلمية بالمغرب الاوسط خلال العهد الزياني ، و التي احتضنت عدداً من المراكز الدينية و العلمية و استوطنها العلماء و الادباء ، و ازدهرت فيها الثقافة و الحرف و الصنائع و الفنون ، و بلغت درجة كبيرة من التطور الفكري و الاقتصادي ، لتحل مكان الصدارة منافسة بذلك أكبر المدن و المراكز العلمية بالمغرب الإسلامي مثل القيروان و فاس و قرطبة .

كما ظهرت المدارس في العالم الإسلامي التي تعد مصدرا من مصادر الآثار الإسلامية و أصبحت تحتل مكانة هامة ضمن العمائر الدينية في المدينة الإسلامية ، فلم تخلو أي مدينة من هذا النوع من المؤسسات ، فمن خلال طرح موضوع الآثار و المعالم من خلال المصادر الإسلامية ، التي ركزنا فيها على آثار و معالم مدينة تلمسان ، و خصينا بالذكر المدارس الزيانية و المرينية بالمغرب الأوسط .

لقد حاولنا استغلال المصادر المادية المتمثلة فيما تبقى من مخلفات و آثار المدارس و المساجد لأنها تعكس المستوى الذي بلغته الحضارة الإسلامية الزيانية عمرانيا و فنيا و ثقافيا ، خصوصا و أن بعض هذه المنشآت ما تزال قائمة ، تحتفظ بكتابات أثرية منقوشة تؤرخ لها ، و لوحات وقفية (وثائق التحسيس) التي لا يمكن الاستغناء عنها في موضوع حضاري مثل المدارس و الزوايا ، و في هذا الشأن حولنا الوقوف على بعض المصادر الإسلامية التي تناولت هذه المادة الأثرية ، و التي هي الوثيقة الرسمية التي يعتمد عليها الباحث الأثري أثناء الحفريات الميدانية ، و ذلك لإجلاء الغموض الذي يكتنفها ، لأن معظم هذه المعالم كان مصيرها الضياع ، و من أجل دراستها و ترميمها لا بد من الرجوع الى المصادر القديمة التي تعطينا المعلومات الكافية و خير مثال على ذلك قلعة المشور ، ذلك القصر الزياني ، فالاعتماد الأولي كان على المصادر الإسلامية التي نال القصر منها قسط كبيرا ثم الحفريات التي اجلت الغموض على هذا القصر ، إن ادراك القيمة الحضارية ، كشواهد و مصادر مادية على اسهامات المغرب الأوسط في الحضارة الإسلامية .

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المصادر

- ابن بطوطة (ابو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي) ، (ت 779 هـ / 1377 م) (1985 م) ، تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار . تحقيق و نقلت علي المنتصر الكتاني ، (ج 2) ، الطبعة الرابعة ، مؤسسة الرسال ، بيروت .
- ابن خلدون (عبد الرحمن) ، (ت 808 هـ / 1406 م) (1983 م) ، كتاب العبر و الديوان المبتدأ و الخبر في بناء العرب و العجم و البربر و من عاصروهم من ذوي السلطان الأكبر ، ج 7 ، دار النشر اللبنانية .
- ابن خلدون (يحيى) (ت 780 هـ / 1378 م) ، (1980 م) ، بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد ، تحقيق عبد الحميد حاجيات ، ج 1 ، الجزائر .
- ابن قنفذ القسنطيني ، (1965 م) ، أنيس الفقير و عز الحقيير ، نشر المركز الجامعي للبحث العلمي ، الرباط .
- ابن مريم التلمساني (ابو عبد الله محمد ابن أحمد) (ت 1064 هـ / 1653 م) ، (1981 م) ، البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر .
- ابن موزق التلمساني (ت 781 هـ / 1379 م) ، (1981 م) ، المسند الصحيح الحسن في مآثر و محاسن مولانا أبي الحسن ، دراسة و تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر .
- التنسي (محمد عبد الله) (ت 799 هـ / 1493 م)، (1985 م) ، نظم الدرر و العقبان في بيان شرف بني زيان ملوك تلمسان ، تحقيق و تعليق محمود بوعبيد ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر .
- الجزنائي علي ، (1991 م) ، جني زهرة الأس في بناء مدينة فاس ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور ، المطبعة الملكية ، الرباط .
- المقري ، (احمد بن محمد التلمساني) ، (1988 م) ، نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيرها اسان الدين بن الخطيب ، تحقيق إحسان عباس ، ج 6 ، دار صادر ، بيروت .
- الوزان (حسن بن محمد الزيات)، (1983 م) ، المعروف بليون الإفريقي (939 هـ / 1532 م) ، وصف إفريقيا ، ترجمة محمد حجي و محمد لخضر ، الطبعة الثانية ، ج 1 ، دار الغرب الإسلامي .
- الونشريسي (ابو العباس احمد) ، (ت 914 هـ) ، (1981 م) ، المعيار المغرب و الجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقيا و الأندلس و المغرب ، ج 7 ، طبعة وزارة الشؤون الدينية ، الرباط .

ثانياً: المراجع باللغة العربية

- ابن الاحمر إسماعيل، (1392 هـ / 1972 م) بيوتات فاس الكبرى، منشورات دار المنصور للطباعة و الوراقة، الرباط .
- بن قرية صالح، (سنة 1993م) . مقدمة لدراسة الكتابات الاثرية المغربية في العصر الاسلامي، مجلة معهد الآثار، العدد 02.
- بو ركية السعيد، (يناير 2002م) البعد الثقافي و المجتمعي للوقف الخيري في الاسلام، مقال، مجلة دعوة الحق، عدد خاص عن جامع القرويين، 363.
- بورويبة رشيد، (الجزائر 1979 م)، الكتابات الاثرية في المساجد الجزائرية، ترجمة ابراهيم شيوخ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر.
- حنان عيسى سلطان، (1984م)، د. غانم سعيد شرف العبيدي أساسيات البحث العلمي بين النظرية والتطبيق، دار العلوم للطباعة و النشر .
- شاوش الحاج بن رمضان (1955 م). باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية.
- شوقي صيف، (د.ت) البحث الادبي، طبيعته. مناهجه. اصوله. مصادره، مكتب الدراسات الأدبية، الطبعة السابعة، دار المعارف، القاهرة .
- عبد العزيز بن عبد الرحمن بن علي الربيعه، (2000م) البحث العلمي حقيقته، و مصادره، ومادته، و مناهجه، و كتابته، و طباعته، و مناقشته، الطبعة الثانية، (ج 1، الرياض).
- عميره عبد الرحمن، (1986م) أضواء على البحث و المصادر، دار الجيل، بيروت .
- فاضل جابر ضاحي، (2005م)، اغرب الاخبار في ضياع الحقائق والكتب و الآثار، بغداد .
- القبلي محمد، (1995م) قضية المدارس المرينية، ملاحظات و تأملات، مقال نشر ضمن كتاب في النهضة و التراكم، المعرفة التاريخية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء .
- كربخال مارمول، (1989م)، إفريقيا، ترجمة محمد حجي و آخرون، مكتبة المعرفة للنشر و التوزيع، .
- لمليح السعيد، (1988-1989م). المدارس المرينية و دورها الفكري في المغرب، دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب و العلوم الانسانية، فاس .
- ناصر محمد، (2005م) كيف تكتب بحثاً جامعياً، كلية المنار للدراسات الاسلامية، الجزائر .
- يكن زهدي، (1971 م) الوقف في الشريعة و القانون الطبعة الثانية، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت.

ثالثاً: المراجع باللغة الاجنبية

- Bargès (J-J-L)**, (1859) ,Tlemcen, ancienne capitale du royaume de ce nom, paris, .
- BEL(A)** ,(1981) Inscription Arabe De FES, (J,A), T.X I .
- Brosslard (CH)**, (1959)« les inscriptions arabes de Tlemcen », revue africaine , N° 18 ,PL 17.
- Duthoit (e)**, (1873), Rapport sur une mission scientifique en Algérie, archives des missions scientifiques, 3eme série, T1.
- Golvin (L)** ,(1995), La madrasa medievale ,EDISUD.
- Golvin (L)** ,(1995), La madrasa medievale ,EDISUD.
- Marcais (G) et (W), Les monuments arabes de Tlemcen, fontemoiny, paris 1903.
- Miles,George**, (1938), the Numismatic History of Rayy .New york.